سُورَةُ المَائِدَةِ

سُورَةُ المَائِدَةِ

❁ التّعريف العامّ بالسّورة:

سورة المائدة مدنيّة باتّفاق العلماء[1]، ورُوي أنّها نزلت منصرفَ النبيّ ﷺ من الحديبية، بعد سورة المُمتَحنة، فيكون نزولُها بعد الحديبية بمدّة؛ لأنّ سورة الممتحنة نزلت بعد رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة من صلح الحديبية، وقد جاءته المؤمناتُ مهاجراتٍ، وطلب منه المشركون إرجاعهنّ إليهم؛ عملاً بشروط الصّلح، وكانت هذه الفترة من الأهميّة بمكان؛ لأجل استكمال تشريعات الإسلام المتّصلة بوجود الأمّة وهويتها[2].

وبعض الأحداث الواردة في السّيرة النّبويّة تشير إلى أنّ بعضَ سورة المائدة كان نزوله قبل معركة بدر، فقد أخرج البخاريّ عن عبد الله، قال: «قال المقداد يوم بدر: يا رسول الله، إنّا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المائدة: 24] ولكنِ امْضِ ونحن معك، فكأنّه سُرّي عن رسول الله ﷺ»[3].

وقد اختُلف في عدّ آيها؛ "فهي مئة وعشرون آية في الكوفيّ، وعشرون وآيتان في المدنيَّيْنِ والمكيّ والشاميّ، وعشرون وثلاث في البصريّ"[4]، وخلافهم في ذلك في ثلاثة مواضع، حيث عدّ الشاميّ والبصريّ قوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: 1] ، وقوله تعالى: ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ [المائدة: 15] فاصلَتَيْنِ، وعدّ البصريّ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ﴾ [المائدة: 23] فاصلةً[5].

(1) القول المُشتهر في مدنيّة السّور القرآنيّة محمول على ما نزل بعد الهجرة؛ فالسّورة مدنيّة بهذا الاعتبار، ولا يضرّ مدنيّتَها ما أورده الإمام البخاريّ في باب قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: 3] بسنده عن عمر بن الخطّاب ﷺ قال: «إني لأعلم حيث نزلت وأين نزلت وأين رسول الله - ﷺ - حين أنزلت يوم عرفة» أخرجه: البخاري، الجامع المسند الصّحيح المختصر صحيح البخاريّ، حديث رقم: (4606).

ويُنظر: حكاية الإجماع على مدنية السورة: ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/143، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/30.

(2) البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: 2/104، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/69.

(3) البخاري: صحيح البخاري، التفسير، قوله: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المائدة: 24]: 6/51: الحديث رقم: (4609).

(4) الداني، البيان في عدّ آي القرآن: 1/149.

(5) القاضي، نفائس البيان شرح الفرائد الحسان، ص: 34.

❁ أسماء السورة الكريمة:

ولسورة المائدة عدّة أسماء، وهي:

1) المائدة: لما روي عن عبد الله بن عمرو ﷺ، قال: «آخر سورة أنزلت المائدةُ»[1].

وروي أيضًا عن جبير بن نفير، قال: «دخلت على عائشة فقالت: هل تقرأ سورة المائدة؟ قال: قلت نعم. قالت: فإنّها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلّوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرّموه»[2].

2) العقود: وهو من أشهر أسمائها الاجتهادية، قال السيوطي: "والمائدة تسمى – أيضًا – العقود"[3]. حتّى إنّه قد قيل: إنّ هذه التّسميةَ أدلُّ على موضوع السّورة الواسع من تسمية المائدة؛ لأنّ قضايا العقود تشمل أغلب السورة، بخلاف قصة المائدة التي لم تستغرق سوى أربعِ آيات.

3) المنقِذَة: لأنّها تنقِذُ صاحبها من أيدي ملائكة العذابِ[4].

4) الأخيار: وهو من أسمائها الاجتهاديّة، وقد روي عن الصحابة ﷺ أنّهم كانوا يسمّون سورة المائدة بسورة (الأخيار)[5]؛ وذلك لأنّ مقصودها الوفاء بما هدى إليه الكتابُ، ودلّ عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق ورحمة الخلائق شكرًا لنعمه واستدفاعًا لنقمة، والالتزام بهذه العقود من شيم الأخيار، ولذا سمّيت بهذا الاسم[6].

5) الأحبار: لورود ذكر الأحبار فيها دون غيرها في قوله تعالى: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ [المائدة: 44]، وهم العلماء، جمع حَبْرٍ وحِبْر بالفتح والكسر[7].

سبب تسمية السّورة باسم (المائدة):

وسمّيت السورة بهذا الاسم؛ لأنّ قصّة المائدة من الموضوعات التي تفرّدت بها السورة،

(1) الترمذي، سنن الترمذي، تفسير القرآن، ومن سورة المائدة، 5/150: رقم الحديث: (3063).
(2) النَّسائي، السنن الكبرى، التفسير، اليوم أكملت لكم دينكم، 10/79: الحديث رقم: (11073). وينظر: أبو عبيد، فضائل القرآن، ص: 239.
(3) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 1/192.
(4) مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية: 3/1827، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/143.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/69.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 6/2.
(7) أبو حيان، البحر المحيط: 4/258.

وهي أعجبُ ما ذكر فيها؛ لاشتمالها على آياتٍ كثيرة ولُطْفٍ عظيم لمن آمن، وعُنفٍ شديد لمن كفر، فهو أعظم دواعي قَبول التّكاليف، كما أنّ مضمون القصّة يبيّن أنّ من زاغ عن الطّمأنينَةِ بعد الكشف الشّافي والإنعام الوافي نوقِش الحساب؛ فأخذه العذاب[1].

تـوالي الإنـعـام وبـيـان الأحـكـام مـائـدة الـلـه لـعـبـاده، مدعاة لمناقشة الحساب لكلّ من يرتاب

من هنا؛ جاءت السّورة معتنية بمُحاجّة أهل الكتاب في نقضهم العهود، وبالردّ على مزاعمهم، وتفنيد شُبههم وتصحيح تصوّرهم الاعتقاديّ، وبيان ما وصلوا إليه من تضييع الأمانة، ونسيان العهد، كيف وقد أَرْصَدَ الله تعالى لهم قولَه: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: 115]، ثمّ - وفي المقابل - بيّن الله تعالى جملة من الأحكام التي شرعها، مما امتنّ الله بها على عباده المؤمنين، كي يتحقّق لهم إكمال الدين وإتمام النعمة بوفائهم بالعهد.

❁ خَصائصُ السّورَة الموضوعيّةِ والأسلوبية:

امتازت سورة المائدة عن غيرها من سور القرآن الكريم بخصائص أسلوبيّة وأخرى موضوعيّة على النحو الآتي:

خصائص السورة الموضوعيّة:

تـقـريـر مسائلَ في أصول الدّين وفروعِه

انفردت السورة الكريمة بتقرير مسائلَ في أصول الدّين وفروعِه، نحوَ بيانِ إكمال الله ﷻ للمؤمنين دينَهمُ الّذي ارْتضى لهم، وإتمامِ نعمته عليهم بالإسلام، والامتنانِ على النبيّ ﷺ بالعصمة من أذى النّاس، لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: 3].

أحكام التشريع

كما حَفلت السّورة الكريمة بجملة من الأحكام التشريعيّة، ما دعا معه ابن تيميةَ إلى وصف سورة المائدة بقوله: "سورة المائدة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/2، والقاسمي، محاسن التأويل: 4/3.

أجمعُ سورة في القرآن لفروع الشرائع من التّحليل والتّحريم والأمر والنهي"[1].

عصمة الشريعة الإسلامية

واختصّت سورة المائدة ببيان هَيْمنة الكتاب على غيره، وبعصمة النبيّ ﷺ من القتل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: 48].

جملة من أحكام وموضوعات لم ترد في غير سورة المائدة

وانفردت السورة بجملة من الأحكام التي لم تَرِدْ في غيرها من سور القرآن الكريم، نحو تحريم جملة من الأطعمة، كالمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنّطيحة وغيرها، والكشف عن حكم ما تمسكه الجوارح المعلّمة، كما وانفردت بذكر الأحكام المتعلّقة بطعام أهل الكتاب ونكاح المحصنات منهم، وآية الوضوء، والتّيمّم، وبتقرير حدّ السرقة، وأحكام القصاص فيما دون النّفس، والأذان، وحكم ما ذُبح على النّصب، وحكم الاستقسام بالأزلام، وببيان حكم صيد المُحْرِم، وحكم الوصيّة، وعادات أهل الجاهليّة في التّعامل مع الإبل، وانفردت السورة الكريمة بذكر مشهد حِواريّ فريد في آخر السّورة الكريمة بين الله ﷻ والمسيح عليه السلام.

ومن الموضوعات الّتي امتازت بها سورة المائدة: حديثُها عن العهود والمواثيق الواردة في ستة مواضع من السورة[2]، وكذلك تناولُها لقضايا الحكم، سواءً المسندة منها إلى النبيّ [3] ﷺ، أو المتعلّقةُ بقضايا تطبيق حكم الله ﷻ على وجه العموم، وذلك في سبعة مواضع من السورة الكريمة[4].

وانفردت السورة كذلك بذكر آيات الحاكميّة الثلاث: ﴿وَمَن لَّمْ

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 14/199.
(2) آية: 1، 7، 12، 13، 14، 70 من سورة المائدة.
(3) آية 42 ثلاث مرات، آية 43، آية 48، آية 49 من سورة المائدة.
(4) آية 45، 44، 43، 1، آية 47 مرتان، آية 95 من سورة المائدة.

﴿يَحۡكُم بِهَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: 44][1]، إذ إنّ حاكميّة الله تعالى اقْتضَتِ الوفاءَ بعهوده ومواثيقه، وإنّ الخروج عنها يمثّل نقضًا وعدم وفاء لها.

فضلًا عن انفراد سورة المائدة بذكر مشاهد قصصيّة لم تَرِدْ في غيرها من سور القرآن الكريم، مثل: قصّة بني إسرائيل الّذين رفضوا دخول الأرضِ المُقَدَّسةِ، فكان نُكولُهُم بمثابة الإحجام في موضع الإقدام، فلم يستجيبوا لطلب موسى عليه السلام لهم بدخولها، ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾ [المائدة: 21] ، وقصة النُّكول لم تذكر إلا في سورة المائدة.

وكذلك قصةُ ابنيْ آدمَ؛ فجاءت هذه القِصّة في مَعْرِضِ بيان أنّ بني إسرائيل أشدّ النّاس إسرافًا في القتل، وأكثرهم فسادًا في الأرض، لا سيّما وقد خُتِمت القصة بتعقيب الله عز وجل: ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢﴾ [المائدة: 32] .

كما وانفردت السورة الكريمة بعرض قصة المائدة التي طلب فيها الحواريّون من عيسى عليه السلام سؤال ربه إنزال مائدة من السماء، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١٤ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١١٥﴾ [المائدة: 112-115]

وكلّ ما ذكر من خصائصَ موضوعيّةٍ للسّورة يتظافر بكلّ زمام إلى مائدة عطايا الله تعالى، وإلى قيام حجّته على عباده ليظهر من خلالها خُلوص قصّة المائدة لموضعها، ووفائها بنظمها البديع في سورتها.

❁ الخصائصُ الأسلوبيّةُ للسّورةِ:

احتوت سورةُ المائدة على ستّة عشر نداءً خوطب بها المؤمنون دون غيرهم؛ فهم أسرع

(1) الآيات: 44، 45، 47.

النّداءات الإلهية للمؤمنين

النّاس استجابةً لله ﷻ، وأكملُ النّاس انقيادًا لحكم الله ﷻ، وأشرح النّاس صدرًا بخطابه.

وقد شكّلت هذه النّداءات نسيجًا متكاملاً من التّنبيهات للمكلَّف، فهي بمثابةِ وصيّة إلهيّة بين العبد وربّه، حيث رسمت له طريقًا متكاملًا في مسيرته التكوينيّة، فكلّ نداء يعدّ تنبيهًا يقفُ المكلّف عنده، كي يتعرّف على ما فيه وما يرسمه له، بل يمكنُ القولُ بأنّ كلّ نداء منها قد اشتمل على أمرٍ، أو نهيٍ، أو تشريعٍ، أو توجيهٍ، ممّا يؤكّد عنايةَ السّورة الكريمة بتربية المؤمنين، والأخذ بنواصيهم نحوَ المنهجِ القويم؛ بغية إعدادهم لحَمل أمانة التّكليف وعِمارة الأرض.

نداء الله تعالى مـحـمّـدًا ﷺ تسلية له وتثبيتًا على منهج الحق

وممّا يجدر التنبّهُ إليهِ عند تتّبع الآيات المفتتحة بالنّداء في السّورة الكريمة، تشريف الله ﷻ لرسوله الكريم محمّد ﷺ، إذ ناداه بوصف الرّسالة في موضعيْن من سورة المائدة، لم يرد في غيرها من سور القرآن الكريم، حيث ورد الموضع الأوّل عند قوله تعالى:

﴿*يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٤١﴾ [المائدة: 41] ، وذلك في سياق التّسْرِيَةِ عن النبيّ ﷺ وشرح صدره الكريم، ممّا عسى أن يُحزنه من طَيْشِ اليهود واستخفافهم، ونفاقِ المنافقين وسوء طواياهم[1]، وأمّا الموضع الثاني فهو قوله تعالى: ﴿*يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/194 - 195.

67] ، وقد جاء في سياق امْتِنان الله ﷻ على رسوله محمّد ﷺ بأنْ: "آمَنَهُ من مَكْرِ اليهود والنصارى، وأَمَرَه بإظهار التّبليغ من غير مبالاة منه بهم"(1).

وممّا يذكر كذلك من خصائص السورة الأسلوبيّة: انفرادها بجملة من الألفاظ التي لم ترد مادّتها اللّغويّة في القرآن الكريم سوى في سورة المائدة، وقد وُظّفت الانفرادات اللّفظيّة في السورة الكريمة لتحقيق غرضَيْن رئيسَيْن:

التشريع حقٌّ خالص لله تعالى

أولًا: تقرير حقّ الله ﷻ الخالص في التشريع، حيث عبّر بالألفاظ الفريدة نحوُ: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ [المائدة: 3] و﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ [المائدة: 3]، و﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ [المائدة: 3]، و﴿ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: 3] في سياق الكشف عمّا يحِلّ ويَحْرُمُ من المطعومات، حيث كان أهل الجاهليّة يستحلّونها ولا يرون في تناولها أيَّ حرجٍ، وأمّا لفظ: ﴿ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: 3]، فقد جاء مُكمّلًا لما شُرع مِن تحريم هذه الأصناف ؛ فعُبّر به عما جاز أكله ممّا لَحِقَتْه التّذكية قبل موته.

كما ورد لفظ: ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾ [المائدة: 94]، في سياق اختبار المؤمنين بإرسال شيء من الصّيد يسهل عليهم أخذ بعضه بأيديهم وسلاحهم ؛ ليعلم ﷻ من يخافه منهم غائبا عن نظر النّاس، من غير مراء ولا رياء، وإنّما خوفًا من الله عزّوجلّ، وطاعةً له في سرّه.

وانفردت السورة كذلك بلفظ ﴿سَآئِبَةٍ﴾ [المائدة: 103]، حيث وردت اللفظة في سياق "بيان ضلال أهل الجاهليّة فيما حرّموه على أنفسهم، وما شرعوه لها بغير إذنٍ من ربّهم، وما قلّد فيه بعضُهم بعضًا على جهلهم، إذ جعلوا الدّابّة مُنْفلِتةً عن كلّ قيدٍ، هائمةً في المرعى كيفما تشاء ... فلا تُردّ عن حوض ولا علف، وذلك إذا ولدت خمسة أبطن"(2).

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/401.
(2) الراغب، المفردات في غريب القرآن: 1/431.

إيقاف الخلق عند حدود الله تعالى:

وأمّا الغرض الثّاني المستلهمُ مِن تَفرُّد سورة المائدة ببعض الألفاظ فهو الكشف عن منهج القرآن الكريم في تربية المؤمنين، وتوجيههم، نحو الوقوف عند حدود الله ﷻ واجتناب نواهيه.

جملة من ألفاظٍ انفردت بها السورة:

اللفظ: ﴿يَتِيهُونَ﴾ [المائدة: 26]، فقد جاء في سياق ذمّ الله ﷻ لبني إسرائيل، وإنزال العقوبة بهم جرّاء عصيانهم لله ﷻ، ومخالفتهم لأمر نبيّ الله موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدَّسة، بل ونكوصهم على أعقابهم؛ فحرّم الله ﷻ عليهم دخولها أربعين سنة، وكتب عليهم التِّيه[1].

كما وعبّر بلفظ ﴿يَبۡحَثُ﴾ [المائدة: 31] في سياق الحديث عن الجريمة وبواعثها في النّفس البشرية، والكشف عن بشاعتها وضرورة الوقوف في وجهها، والعقاب لفاعلها، ومقاومة دوافعها الّتي تحرّك النّفس للإقدام عليها.

وانفردت سورة المائدة بلفظ ﴿يُنفَوۡاْ﴾ [المائدة: 33]، حيث جاءت هذه المفردة في سياق الحديث عن حدّ الحِرابة، فعُبّر بها عن إحدى العقوبات التي تَقرّرَ وقوعُها على من يحارب الله ﷻ ورسوله الكريم، ويسعى في الأرض فسادًا، وذلك إمّا بالقتل أو الصّلب أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف أو النّفي من الأرض، حيث فُوّض لأولي الأمر الاجتهادُ فى تقدير العقوبة بقدر الجريمة .

وانفردت السّورة الكريمة بلفظ ﴿وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: 48]، والّذي ورد في سياق أمر الله ﷻ لنبيه محمّد ﷺ بأن يحكم بين أهل الكتاب بما أنزل الله ﷻ، وألّا يتبع في ذلك أهواءهم؛ فقد جعل الله ﷻ لكلّ أمّة شِرعةً ومنهاجًا؛ فأمّا الشريعة "فما جاء من أحكام تكليفيّة يجب العمل بها أمرًا ونهيًا وندبًا وإباحةً، وأمّا المنهاج فهو الطريق الواضح لتنفيذها وبيان مجملها وتفصيل أحكامها الجزئيّة[2]".

(1) التّيه على معنييه: إن أريد به المعنى الحقيقي من الذهاب في الأرض إلى غير مقصد معلوم، أو قُصِد به المعنى المجازيُّ، نحوَ افتراق الكلمة وقلّة اجتماع الرأي، ينظر: ابن عطية، المحرّر الوجيز، ص: 531.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/2227.

وانفردت السورة الكريمة بلفظي ﴿قِسِّيسِينَ﴾ [المائدة: 82] و﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: 63/44]، وذلك في سياق عرض القرآن الكريم لأحوالِ أهل الكتاب في عداوتهم للمؤمنين أو محبتّهم لهم، ومقدار تلك المحبة والعداوة، وبيّنت بأنّ منهم قسّيسين ورهبانًا وأحبارًا يعرفون حقيقة دينهم ؛ فلا يستكبرون على الحق حين يتبيّن لهم .

وانفردت السورة بذكر لفظ ﴿ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: 95]: فقد ورد مرتين في السورة، وذلك في قوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: 95]، وقوله تعالى: ﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: 97]. ولم ترد هذه التسمية إلا في سورة المائدة.

وانفردت السورة ببعض الصيغ والاشتقاقات التي تفرّدت بها عن غيرها من السور حتّى لو شاركتها في بعض اشتقاقاتها مثل: ﴿بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]، ﴿ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة: 2]، ﴿غُرَابًا﴾ [المائدة: 31]، ﴿أَكَّٰلُونَ﴾ [المائدة: 42]، ﴿شَنَـَٔانُ﴾ [المائدة: 2]، ﴿كَفَّارَةُ﴾ [المائدة: 45]، ﴿وَٱلْأَنفَ﴾ [المائدة: 45]، ﴿وَٱلسِّنَّ﴾ [المائدة: 45]، ﴿ءَآمِّينَ﴾ [المائدة: 2] وغيرها.

جملة من التراكيب التي انفردت بها السورة:

وقد انفردت سورة المائدة بجملة من التراكيب التي لم ترد في غيرها من السور القرآنية، نحو تركيب: ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: 14] والذي ورد في موضعين من سورة المائدة [1]، وذلك في سياق ذمّ اليهود والنّصارى بسبب نقضهم العهود التي أُخِذت عليهم من الله ﷻ، وبيان ما ترتّب على ذلك من إنزال العقوبة بهم في الدنيا وتوعدهم إياّها في الآخرة.

كما وانفردت سورة المائدة بتركيب ﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: 21]، والذي ورد في سياق أمر الله ﷻ بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة، وذلك عقيب تذكيرهم بما أنعم الله عزوجل عليهم من النعم الوفيرة.

وانفردت سورة المائدة كذلك بتركيب ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [المائدة: 50]، حيث جاء المركّب في سياق التوبيخ لبني إسرائيل لإعراضهم عن حكم الله ﷻ، وتمسكهم بحكم الجاهلية المبني على محض الجهل وصريح الهوى.

---

(1) وذلك في قول الله ﷻ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: 13]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: 14] .

وسورة المائدة هي السورة الوحيدة التي ورد فيها تركيب، وذلك في قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: 41].

وهي السورة الوحيدة التي ورد فيها تركيب (لومة لائم)، وذلك في قوله تعالى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: 54].

كما وانفردت سورة المائدة بقوله ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: 105] وذلك في سياق أمر الله ﷻ المؤمنين الاهتمام بإصلاح أنفسهم بالعلم النافع والعمل الصالح، وما يترتّب على ذلك من القيام بإرشاد الناس وتعليمهم ؛ فإنّهم إن فعلوا ذلك لن يضرّهم ضلال من ضلّ عن الصّراط السويّ.

وتفرّدت سورة المائدة بأسلوب الرفع أثناء الحديث عن (الصابئين)، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة: 69]، بخلاف سورتي البقرة والحجّ.

❁ المحور الذي تدور حوله موضوعات سورة المائدة:

تعدّدت اتّجاهات العلماء في تقرير المحور الذي تدور عليه سورة المائدة، ولكنّها على تنوّعها تدور حول الوفاء والتّمام، وذلك من خلال الوفاء بالعقود وبيان مكمّلات الدِّين من أحكام الحلال والحرام، قال الزركشيّ: " وأمّا سورة المائدة فسورة العقود، وبهنّ تمام الشرائع قالوا، وبها تمّ الدين، فهي سورة التكميل"[1].

فمحور سورة المائدة يدور حول إرساء قواعد المنهج الربانيّ في بناء المجتمع المسلم، الذي تكون فيه الحاكميّة لله ﷻ وحده، فيدرك فيه المرء دوره في الالتزام بعهوده ومواثيقه، والقيام بواجبه في تبليغ دعوة الله ﷻ والشهود بذلك على الأمم، ولذلك فالسورة قامت على حثّ المؤمنين على الوفاء بكافّة عهودهم العقديّة والتشريعيّة، ونَعَتْ على أهل الكتاب نقضَهم المتكرّر لهذه العهود عبر تاريخهم الطويل مع أنبيائهم.

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 1/261 - 262 والسيوطي، أسرار ترتيب القرآن، ص: 77.

❁ المناسبات بين سورة المائدة وجاراتها من السور:

تقع سورة المائدة بين سورتيّ النّساء والأنعام، فترتيبها في المصحف الشريف الخامسة.

حيث جاءت السورة الكريمة عقيب سورة النّساء التي تناولت مقوّمات التّشريع الإسلاميّ الصالح لتدبير شؤون الإنسانيّة جمعاء، من خلال عناصره الثلاثة: المُشرّع، والتشريع، والمكلّفين، فأكثرت السورة من ذكر صفات هذا المُشرّع القائمة على العلم والحكمة والمغفرة والرحمة، والعدل، ونفي الظلم مطلقًا وغيرها من الصفات الجليلة التي ذكرتها السورة وبيّنت مقاصد الشّريعة الخمسة، التي تكفل تحقيق مطالب الإنسان في كلّ زمان ومكان.

لأجل ذلك فإن سورة النساء قد أشارت لجملة من العقود الصريحة والضّمنية، فالصريح منها نحو: عقد النكاح، وعقد الصداق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾ [النساء: 33] ، وكذلك عقد المعاهدة والأمان في قول الله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلَۢا ٩٠﴾ [النساء: 90] ، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ﴾ [النساء: 92].

وأما الضمنيّ نحو: عقد الوصية، والوديعة والوكالة، والعارية، والإجارة، وغير ذلك مما هو داخل في عموم قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: 58].

فناسب أن يُعقب ذلك بسورة مفتتحة بالأمر بالوفاء بالعقود التي فُرغ من ذكرها في سورة النساء، وكأن السورتين قد اتحدتا في تقرير الفروع الحكمية[1].

كما واشتملت السورتان الكريمتان على أوجه من محاجّة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وطائفة من الوصايا العامة، نحو: القيام بالقسط، والشهادة بالعدل، من غير محاباة لأحد أو انحياز لطرف دون سواه، وذلك في قول الحق ﷻ في سورة النساء: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ

(1) السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، ص: 95.

تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾ [النساء: 135]، وقوله ﷻ في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [المائدة: 8] .

مشتركات موضوعية بين سورتي النساء والمائدة

وأمّا ما يتعلّق بباب التشريع، فإنّ السورتيْن الكريمتيْن قد تعرّضتا لقضايا الحكم بما أنزل الله، ففي سورة النّساء قال الله سبحانه و تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء: 105] ، وأمّا في سورة المائدة فقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [المائدة: 44-45]، بل إنّ السّورتين الكريمتين قد تعانقتا في نفي صفة الإيمان عن المحكوم الذي يأنف عن الإذعان لحكم الله ﷻ، ويتولّى عنه ويرفض قبوله، فقد قال الله عزوجل في سورة النساء: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء: 65]، وقال ﷻ في سورة المائدة: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٣﴾ [المائدة: 43].

ارتباط سورة المائدة بسورة الأنعام

وترتبط سورة المائدة بسورة الأنعام بما تعرّضَت له من حقيقة الألوهية وما تقتضيه من إفراد العبودية لله ﷻ؛ وأنّه وحده سبحانه من له الحكم والتشريع، وبالمجمل فسورة الأنعام تدور حول

الاحتجاج لأصول الدين، وتقرير عقيدة الإسلام، ونقض عقائد الشرك وبيان فسادها، والرد على شُبه أصحابها.

فضلًا عن عناية كلا السورتيْن الكريمتيْن بتقرير أصول العقيدة، والردّ على شبه الكافرين وتفنيد مزاعمهم؛ فسورة المائدة معظمها في محاجّة أهل الكتاب، وسورة الأنعام معظمها - بل كلّها - في محاجّة المشركين.

ولمّا كان من مقصود سورة المائدة إبطال مزاعم النصارى في تأليه عيسى عليه السلام، ناسب أن تُعَقّب سورة المائدة بسورة الأنعام التي يدور قطب رحاها على إثبات الصانع وإرساء قواعد التوحيد ودعائم دلائله[1].

كما أنّ كلا السورتين قد تعرضتا لذكر أحكام الأطعمة المحرمة، بيد أنّ سورة المائدة قد فصّلت في ذلك، بينما أتت سورة الأنعام على ذكر الأطعمة المحرّمة على وجه الإجمال.

وممّا يجدر التنبّه إليه في هذا المقام اشتراك السورتيْن الكريمتيْن في عرض مشاهد من يوم الحشر.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 4/73.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»